ضربة اسرائيلية قادمة.. متى ولماذا ؟

أحمد طلعت

اعتقد ـ دون ان اترك نفسى للوقوع فى محاذير الاسراف فى التفاؤل ـ ان هناك تحولا جوهريا قد طرأ على نظرة الولايات المتحدة الامريكية الى مشكلة الشرق الاوسط ·

لكننى أبادر فأقول بان هذا التحول الجوهرى ، ليس كله من اجل خاطر العرب ، بل هو تحول تمليه المتغيرات الدولية، والمصالح الامريكية فى الدرجة الاولى ·

فالولايات المتحدة الامريكية أصبحت تدرك انه ليس فى صالحها ولا فى مقدورها ان تدخل ـ الان على الاقل ـ فى مواجهة مع دول البترول العربية قد تحمل فى طياتها مخاطر حظر بترولى جديد ، او فى احسن الظروف خفض لانتاجه·

فمشكلة الطاقة فى الولايات المتحدة قد اصبحت احدى الاولويات التى تواجه الادارة الامريكية ، لدرجة فرضت على الرئيس الامريكى كارتر ان يتقدم الى الكونجرس بمشروع اقل ما يقال فيه انه برنامج للتقشف الحقيقى فى استخدام الطاقة ·

كما ان الولايات المتحدة تدرك الان تماما الكارثة التى يمكن ان تلحق بحلفائها فى أوربا الغربية واليابان ، اذا ما تعرضت هذه الدول لاى حظر ، او نقص فى امدادات البترول ·

ومع تزايد الشعور فى الولايات المتحدة بأزمة الطاقة ، فانها ـ فى تقديرى ـ قد رسمت سياستها لمواجهة الازمة على النحو التالى :

ـ برنامج عاجل للاقتصاد فى استخدام البترول، سواء برفع اسعار بيعه او بالحد المباشر لكمية الاستهلاك ·

ـ دراسات علمية مكثفة لاكتشاف مصادر جديدة للطاقة فى اسرع وقت ممكن وهى دراسات تنفق عليها الحكومة الامريكية بسخاء وتحشد لها مجموعة من ابرز علمائها فى قاعدة « كيب كانافرال » للابحاث العلمية ، حتى اصبحت القاعدة وكأنها معتقل اجبارى لهؤلاء العلماء ، لا يخرجون الا ومعهم الاكتشاف الجديد ·· !!

ـ البعد ـ قدر الاستطاعة ـ عن اية مواجهة دولية ، او تدهور فى العلاقات مع الدول المنتجة للبترول ، فى الوقت الحاضر على الاقل ، ولحين الوصول الى نتائج محددة للابحاث العلمية من اجل العثور على طاقة بديلة ·

وهذا بالطبع ، الى جانب استعداد امريكى للتدخل العسكرى المباشر ـ اذا لزم الامر ـ لضمان تدفق الامدادات البترولية الحيوية والضرورية، لبقاء الكيان الاقتصادى الغربى واستمراره ·

● الاسد يجتمع بكارتر فى جنيف ●

– عجيبة ... هوه مؤتمر جنيف انعقد ... ؟ !

واذا كانت الولايات المتحدة الامريكيـــة لا تلجأ فى الوقت الحاضر لهذا الاحتمـــال ، فلانها تدرك تماما ابعاد التوازن الدولى ، ومخاطر المواجهـــة النووية .

وهى لن تقبل بهذه المخاطر، الا اذا فرض عليها الاختيـار بين الانتحـــار وسـط الصمت الرهيب الذى يخيم عليها بعـد توقف مصانعها عن الدوران ، او الدوى الهـائل الذى يعقب انفجار القنابل الذرية .. !!

□ □ □

ومن جهة اخرى ، فقد بدأت الولايات المتحدة الامريكية تدرك ان سياسة الوفاق الدولى ، لم تمنع الاتحاد السوفيتى من ان يكسب فى كل يوم ارضا جديدة، على حساب المصالح الامريكية والتواجد الامريكى ...

لذلك ، فقـــد آن الاوان للسياسة الامريكية ان تتجه الى كسب ثقة الشعوب ، والمساهمة فى حل مشاكلها ، بعد ان كانت لاتتجـــه فى الماضى الا لدعـم انظمة حكم فاسـدة ، اثبتت التجارب انهـــا لم تقدر على الصمـود أمـــام رياح التغيير والتطور .. ولكم كان الدرس قاسيا – وغاليـــا – فى فيتنام وفى كمبوديا وغيرها ..

وأخـــيرا ، فـــان الولايات المتحدة تواجه الان تحديا صناعيا من بعض (دول الصـــناعات الارخص) مثل اليابان والصين، وهو تحـد لا تستطيع الولايات المتحدة ان تواجهـــه ، كمـــا لا تستطيع ان تقبل به . لذلك فان نظرتهـــا الى المائة مليون عربى – بامكانياتهم المتزايدة – قد بدا تتتوازن مع نظرتهم الى اسرائيل بسكانها المليونين .

وانا ممن لا يميلون الى اســـتخدام تعبير (الضغط الامريكى على اسرائيل)..

● لانها لا تقدر – ان هى ارادت – بسبب النفـوذ الصهيونى داخـل المجتمع الامريكى ، والذى يصـل احيانا الى داخل اجهـزة صنع القرار الامريكى ..

● ولان تعبير (الضغط) هو تعبير كريه فى السياسة الدولية . وخطره يكمن فى انه سلاح يمكن أن يستخدم ضـــدنا . كمـــا يمكن ان يستخدم من اجلنا ..

لذلك فاننى أفضل القول بأن الولايات المتحدة الامريكية قـد وجـــدت نفسها – فى الوقت الحاضر على الاقل – فى موقف يدفعها الى اعادة النظـــر فى تأييـــدها المطـــلق والاعمى لاسرائيل ، وهو التأييد الـذى لا تستطيع اسرائيل – ولاتملك – بدونه ان تستمر فى عربدتها على ارض الشرق الاوسط .

ولو أمســـكت الولايات المتحدة يدها عن الدعم بغير حدود ، فلن تكون بها حاجة لان تضغط ولو فى حدود..

□●□

فاذا سلمنا بأن تحـــولا فى النظرة الامريكية قد وقع بالفعل تجـــاه الشرق الاوسط ، الى جانب تفهم أوربى اكبر لابعـاد الصراع فيه ، يؤكده البيـــان الذى لم ينشر لدول الســـوق الاوربيـــة المشتركة ، ثم اذا اضفنـــا الى ذلك كله العزلة الدولية التى تحيط باسرائيل ، وهى عزلة لا تقبـــل الشك او الجدل ، فان الحكومة الجـديدة لاسرائيـــل – عقب الانتخـابات البرلمانية التى تجرى هنـــاك فى الثامن عشر من هذا الشهر – لن يكون أمامها الا أحد خيارين لا ثالث لهما :

– اما ان تقبل بسلام يفرض عليها .، وهو سلام ليس على الطريقة الاسرائيلية ،او وفقـا لشروطها .

– واما ان تغـــامر بعدوان مسلح – ومفاجىء – تغير به ابعاد الصورة فى المنطقة ، او تهـــدم به اعمـدة المعبد فوق رأسها ورؤوس اعدائها .. !!

●□●

ولقد تعود العرب دائما النظر تحت أقدامهم ، لكنهم هـذه المرة مطالبون بنظرة ابعد الى احتمالات المستقبل، حتى لا يواجهـوا فى يوم قريب بكارثة تفوق كل مـا واجهوه من كوارث ..

والعرب مطالبون ايضا – وهم يعيدون حساباتهم – ان يضعوا فى اعتبارهم حقيقتين هامتين :

اولا : ان اسرائيل تعودت ان تضع العالم أمام الامـــر الواقع ، وتعودت ايضا – من هذا العالم – ان يقبل بمـــا تفرضه من أمر واقع ...بعض الدول تنبهـــر بالعـــربدة الاسرائيلية ، وأكثرها تعاطفا مع العرب يكتفى بدور المتفرج.

يؤكد ذلك موقف جميع دول العالم من اعتداءات اسرائيـل على الدول العربية عامى ٥٦ ، ٦٧ كما يؤكده أيضا استقراء لموقف جميع دول العالم حيال واقعتين محددتين أســـوقهما كمجرد مثال .

● سرقة اسرائيل لخمسة زوارق حـــربية من ميناء شيربورج الفرنسى ، رغـم الحظر الذى كانت تفرضه فرنسا على تصدير الاسلحة الى اسرائيل عام ١٩٦٩ ..

● القرصنـــة الجـــوية الاسرائيلية فى مطار عنتيبى بأوغندا ، تحت ستار انقاذ الاسـرى الاسرائيليين من ركاب طائرة مخطوفة ..

ولا يحتاج العرب – فى رأيى – الى ذاكرة خارقة ليصـــلوا الى نتيجة تقول بأن اقصى ما حصـــلوا عليه – بعد هاتين الواقعتين – هو مجرد بيانات الاستنكار .. !!

ثانيا : الانباء التى تسربت اخيرا حول استيلاء اسرائيل – فى اخطر عملية للقرصنـــة البحـرية – على ٢٠٠ طن من اليورانيوم كانت فى طريقهـــا بحرا من بلجيكا الى ايطاليا ، الى جانب ما سبق ان تسرب من انباء عن احتمالات ملكيـة اسـرائيل للقنبلة الذرية ، كل هذه الانباء لا يمكن ان تكـون دخـانا بغير نار ، ولا ينبغى ان يأخذها العرب على انهـــا مجـــرد وســـيلة (للتمويه الاستراتيجى) يقصـد بها بث الفزع فى قلوبهم ، وأجبـارهم على القبول بالسلام ...

ولم املك غـير الضحك – وشر البلية ما يضحك – وأنا اقـــرأ فى صحفنـــا العـــربية تصريحا لمتحدث باسم السوق المشتركة يقول فيه « ان الشحنة المذكورة من اليورانيوم الخام، لا تصلح لكى تصنع منهـــا متفجرات نووية » ... !!

ولست اظن ان العالم يعتبر العرب من البلاهة والسذاجة ، بحيث يعتقدون بان اســرائيل قد قامت بأخطر عملية للقرصنة البحرية فى القرن العشـرين ، وانفقت فيها الملايين ، من اجل الحصول على ٢٠٠ طن من خام اليورانيـــوم لتســـتخدمها فى صناعة لعب الاطفال .. !!

وهنا لا ينبغى ايضا ان ننكر – للامـــانة – ذكاء الاعـــلام الاسرائيلى الذى سكت ولم يعلق على هذه الانباء ، وهو الاعلام الذى لا يـترك مناســـبة تمر دون ان يكون له فيهـــا ايحاء أو تعليق ..

وفلسفة الاعـلام الاسرائيلى فى هذا الصمت بالمغة البساطة، فلو ان الخـــبر صـــحيح ، فتكذيبه لا يجـدى ولا يفيـد ، واذا كان الخبر غير صحيح ، فلا بأس من ان يعيش العرب – ولو لفترة – فى أوهـــام الرعب النووى ... !!

●●●

وفى ظنى ان ضربة قادمة من اسرائيل ، تغير بهـــا معالم الصورة ، هو احتمال وارد ..

وفى ظنـى ايضـــا ان اليورانيـــوم المسـروق لن تســـتخدمه اســـرائيل فى صـــــناعة لعـــب الاطفال ... □□